

سورة التغابن

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ لَهُ الْمَلِكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كٰفِرٌ وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ ؕ وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ بَصِيْرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَاَحْسَنَ صُوْرَكُمْ ؕ وَإِلَيْهِ الْمَصِيْرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّوْنَ وَمَا تُعْلِنُوْنَ ؕ وَاللّٰهُ عَلِيْمٌ بِذٰتِ الصُّدُوْرِ ﴿٤﴾ ﴾

يُسَبِّحُ لِلَّهِ: ينزهه ويمجده ويدل عليه.

لَهُ الْمَلِكُ: التصرف المطلق في كل شيء.

بِالْحَقِّ: بالحكمة البالغة.

فَأَحْسَنَ صُوْرَكُمْ: أتقنها وأحكمها.

قوله : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ ﴾ معناه أن الكون كله آية مصداق للحقيقة، التي كشفها الله - سبحانه وتعالى - عبر القرآن الكريم ، وأنه يؤيدها بلسان حاله تأييداً يبلغ درجة الحمد والثناء ، فالذين لا يؤمنون، رغم هذا الإعلان الثاني، إنما ينبغي لهم أن يرتقبوا الإعلان الثالث الذي سيحضر البشر على إثره بين يدي الله، لكي يستمعوا إلى رب الكون نفسه وهو ينطق بقضائه الأخير في شأن مصيرهم الأبدى !!

﴿ اَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْ قَبْلُ فَاذٰقُوْا وَبٰلَ اَمْرِهِمْ وَهُمْ عٰدٰبُ الْيَمِّ ﴿٥﴾ ﴾

ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا
وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٠﴾

وَبَالَ أَمْرِهِمْ: سوء عاقبة كفرهم في الدنيا.

وَتَوَلَّوْا: أعرضوا عن الإيمان بالرسول.

يتضمن تاريخ الأنبياء والمرسلين الذين جاؤوا برسالة الحق في مختلف العصور الماضية، رصيماً دائماً لا ينفد من العبر والعظات الغالية لبني الإنسان، فمثلاً: بُعث إلى قوم عاد وثمود وأهل مدين وقوم لوط وغيرهم رسل من الله، ولم يكن يملك هؤلاء للدلالة على صدقهم أي مهارة أو خصوصية فوق البشرية، سوى الدليل، وإن إنكار الحق على مستوى الدليل هو ما جعل تلك الشعوب تستحق العذاب الإلهي، ومن هذا نعلم أن امتحان المرء في هذه الدنيا هو أن يتعرف على الحق على مستوى الدليل، ومن يفشل في معرفة الحق على مستوى الدليل سيظل محروماً من الحق ما دامت السماوات والأرض.

﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ
وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٢﴾ يَوْمَ تَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾

وَالنُّورِ: القرآن.

لِيَوْمٍ: في يوم القيامة حيث تجتمع الخلائق للحساب والجزاء.

يَوْمُ التَّغَابُنِ: يظهر فيه غبن الكافر بتركه الإيمان وغبن المؤمن بتقصيره في الإحسان.

الناس يحسبون الدنيا موضع الربح والخسارة (التغابن) ، فإذا حصل بعضهم هنا على النجاح طار فرحاً ومرحاً. وأما إذا تعرض شخص ما للفشل تحامته العيون ازدراءً واحتقاراً لشأنه، ولكن الحقيقة هي أن خسارة الدنيا وربحها كلاهما عديم القيمة والجدوى على حدٍ سواءٍ .

إن مكان الربح والخسران الحقيقي هو الآخرة ، فالخاسر هو الذي يخسر في الآخرة، وكذلك الراجح هو من يربح في الآخرة ، ومقياس الربح والخسران هناك يختلف عن مقياسها في حياتنا الراهنة ، حيث يقاس الربح والخسارة في الدنيا بالأسباب والمظاهر المادية المحسوسة، بينما هما يقاسان في الآخرة بمدى قرب الإنسان أو بعده من مستوى الأخلاق الإلهية ، وسيُصاب الناظرون يومئذٍ بالدهشة ، إذ يرون أن الأمر هنا قد تغير تماماً ، فما كان يعده الناس فوزاً كان في الحقيقة خسراناً، وما ظلوا ينظرون إليه على أنه خسران، كان هو الأخرى والأحق بأن يُسمى بالفوز. والواقع أن ربح يومئذٍ هو الربح وخسارة يومئذٍ هي الخسارة !!

﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠٠﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٠١﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾

بِإِذْنِ اللَّهِ: بإرادته وقضائه وقدره تعالى.

يَهْدِ قَلْبَهُ: يوفقه لليقين والصبر والتسليم.

إن المصيبة - أية مصيبة - لا تحيء تلاقياً، بل تأتي المصائب كلها - صغيرة كانت أو

كبيرة - من عند الله وبإذنه تعالى ، وهي تأتي لكي يُتاح للإنسان عبْرَها فرصة لتلقي الهداية ، فالمصيبة تُلين قلب الإنسان وتُرتقق فؤاده، وتهز نفسيته هزاً عنيفاً ، وعليه فالمصائب تلعب دور الموقظ أو المنشط للعقل الإنساني ، ولو حفظ المرء نفسه من الانفعالات السلبية، لصارت المصيبة بالنسبة إليه أفضل معلم رباني!! .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَوْا وَتَصَفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقْ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٢﴾ إِن تَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفَهُ لَكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٣﴾ عَلِمُوا الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٤﴾ ﴾

فِتْنَةٌ: بلاء ومحنة واختبار.

يُوقْ شَحَّ نَفْسِهِ: يكف بخلها الشديد مع حرصها.

قَرْضًا حَسَنًا: احتساباً بطيبة نفس وإخلاص.

إن نفس الإنسان أشد ما تكون تعلقاً بأولاده في هذه الحياة ، حيث تراه يتحدث كثيراً عن المبدأ ويؤكد عليه بشدة ما دام الأمر يتصل بأشياء أخرى غير أولاده، ولكنه سرعان ما ينسلخ من كل المبادئ والالتزامات ويضرب بها عرض الحائط إذا كان في الأمر مساس بمصلحة من مصالح أولاده ، ومن هنا جاء في الحديث : " الولد مجبنة مبخله ، كما ورد في حديث آخر : " يؤتى برجل يوم القيامة فيقال : أَكَلْ عِيَالَهُ حَسَنَاتِهِ " . يظن الإنسان بهاله فيمسك يده عن البذل والإنفاق في سبيل الله من أجل أولاده ، في حين أنه لو أعطى في سبيل الله عن طيب نفسٍ، لعوضه الله من ذلك في

صوّر شتى ما يزيد على عطائه هو في سبيله تعالى أضعافاً كثيرة ، وفوق هذا سيتلقاه الله يوم القيامة بما هو أحوج ما يكون إليه يومئذٍ، ألا وهو العفو عن الخطايا وغفران الذنوب !!

obeyikandali.com